فاطمة من علي(و)إن شاء هللا ينجح مراد(و)يا رب فرج على خديجة...الخ) إضافة الى وظيفة الحناء التزيينية والعلاجية فإن لها " وظيفة اجتماعية اذ تعد الحناء دلالة رمزية اجتماعية تميز العروس من قريناتها الأخريات، ويضفي عليها بهاء ورونقا وجمالا، وبذلك تكون الحناء مظهرا من مظاهر مباهاة المرأة الريفية في ليلة زفافها. من المعلوم أن الحنة هي الليلة التي يتم فيها الاحتفال بتحضير العروس لليلة الزفاف والدخلة، بدءا من الاستحمام وانتهاء بوضع الحنة على يديها ورجليها في طقوس خاصة تقوم بها نساء متخصصات .و لليلة الحنة عدة مدلولات، اذ تعد ليلة مهمة وفاصلة في حياة كل عروسين، ألنها تحمل في مضمونها كثيرا من المدلولات الاجتماعية والنفسية على حد سواء، إذ يفترض على كل مجتمع إنساني، قبل الزواج، القيام ببعض التدابير التي تحمل سمة احتفالية جمعية، بهدف اإلسهام بتهيئة العروسين لليلة مفصلية ومهمة في حياتهما، ألا وهي(ليلة الزفاف) وما يسبقها من مراسم كانت تمتد في الماضي القريب لأيام متتالية، إذ لكل ليلة منها معانيها ومدلولاتها الرمزية الخاصة بها، إذ لم يكن في الماضي يقتصر معنى هذه الليلة (ليلة الحنة) على احتفالات جمعية بوضع الأصباغ على بعض الأنحاء من جسد المرأة كالكفين والقدمين والشعر فحسب، وإنما في الحقيقة كانت تتجاوز مدلولات هذه الليلة الاحتفالية.[167]

IV. العبادات: الوضعي و السماوي:

1. العبادات في الديانات القديمة:[168]

أ- العبادات في الدّيانات المندثرة:

1) العبادات في الدّيانة المصريّة القديمة:[169]

بينت لنا كتب تاريخ الحضارات أن أهم ما يميز فترة عصر (الباليوليت الأوسط)، هو انحسار سيطرة إنسان النياندرتال بصورة ملاحظة، وظهور أول دين بشري قائم على الأساطير وطقوس عبادات معينة، حيث أن الأساطير هي محاولة من الإنسان لتفسير الظواهر الطبيعية التي يعجز عن تفسيرها، والتي هي من أهم الدوافع لإنشاء الأديان.

في هذا العصر، بدأ الإنسان بعد نمو نوازعه الروحية في تقديس الحيوان؛ بسبب شراسته، وقوته، وتنوعه، ومنافسته له في الحصول على الغذاء، ثم اقترب منه واصطاده أما بدافع الغذاء أو بدافع الخوف منه، واتقاء شره، وتميز الحيوان عن النار بأن الإنسان استطاع ترويض الحيوان، وتدجينه بل، واقترب منه لدرجة مرافقته في كل تجواله، ورحلاته.

---

[167] نفس المرجع.

168 عبد الرزاق رحيم، صلال الموحي: العبادات في الديانات القديمة (المصرية-العراقية القديمة-اليونانية القديمة-الرومانية القديمة-الهندوسية-البوذية الصينية-الفارسية القديمة (الزرادشتية)-الصابئية)، دار صفحات للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، دمشق-سورية، سنة 2012، ص ص 17-57.

169 عبد الرزاق رحيم، صلال الموحي: العبادات في الديانات القديمة، ص 18.

تقديس الحيوان عند القدماء حمل رمزًا مُهِمًا، حيث رأى الإنسان القديم في الحيوان القوي، وفي أكل لحمه أن الحيوان قد أصبح جزءًا من جسده، خصوصًا بعد اتحاده مع النار، ويعتقد العلماء أن إنسان النياندرتال هو من ابتكر المدافن، والقبور كنوع من التقديس أو التكريم الديني أكثر من أن يكون وعي اجتماعي، فدفن إنسان النياندرتال موتاه بالإضافة للحيوان المقدس جنبًا إلى جنب، ولعل هذا هو المدخل لاعتقاد الإنسان القديم بوجود حياة ما بعد الموت، فدفنه للحيوان المقدس بجانبه إنما هو للحماية في العالم الأخر.

ويتكون أي دين من ثلاثي (العقيدة، والطقس، والأسطورة)؛ مما يجعل طقوس الدفن الجنائزية عند قدماء المصريين اللاحقين – كما سنستعرضهم لاحقًا – هي امتداد لطقوس الدفن أو حتى الطقوس الدينية عند الإنسان القديم في عصر الباليوليت الأوسط، هذه الطقوس، كما أشرنا سابقًا، هي بذرة لوجود عقائد ما بعد الموت، أو بسبب اعتقاد الإنسان بوجود حياة البعث والخلود.

تَلّى هذا العصر، عصر جديد عُرف باسم عصر (الباليوليت الأعلى)، وتميز ببداية ظهور ديانات الإنسان العاقل، ويختلف هذا العصر عن العصور السابقة بأنه شهد تكوين، وإنتاج الأشياء المقدسة، فبعد أن كان الإنسان يقدس النار، ويهاب الحيوانات، بدأ في تشكيل الدمى والعرائس، والرسم على جدران الكهوف، بدأ الإنسان في إنتاج مقدسه بنفسه بعد أن كان يعتمد على الطبيعة في ذلك.

تشير النظريات العلمية بأن الرسومات، والتمائم، والدمى التي وضعها الإنسان بداخل الكهوف، وعلى جدرانه ما هي إلا لتحويل الكهف إلى معبد، يتم من خلاله استحضار قوي الحيوان أو النار أو التميمة السحرية. وهذا ما ظهر في مهد الحضارات المصرية القديمة التي سبقت توحيد القطرين وبالخصوص حضارات حلوان، والبداري، ونقادة، ومرمدة بني سلامة، و دير تاسا، والمعادي، وجرزة.

العصور اللاحقة لعصر الباليوليت الأعلى هي عصور بداية التاريخ، التي شهدت بداية تدجين الحيوان الذي استلزم – عن وعي وقصد – زراعة أنواع معينة من النباتات. وهو ما عرف لاحقًا باكتشاف الزراعة كأعظم الاكتشافات البشرية بعد اكتشاف الكتابة، حيث تعد أيضًا الكتابة الهيروغليفية هي تطور لرموز وصور المقدسات القديمة منذ عصر الباليوليت الأعلى وما قبله.

في بداية عصر جديد يُدعي بـ:(العصر النيوليتي)، بدأت مرحلة من الجفاف وتراجعت الأحراش، والغابات نحو أماكن المستنقعات المائية بجانب نهر النيل، وبدأ الإنسان القديم في الاستقرار بجانب النهر .. في بداية هذا العصر كانت الديانة المصرية بدأت باكتساب ملامحها الأولى، والتشكل على الرغم من بقايا عالقة لممارسات روحية منذ عصور ما قبل التاريخ، حيث تواجدت مراحل حضارية دينية مهمة في مصر، أهمهم دير تاسا، والبداري، و نقادة في مصر العليا (الجنوب)، ومرمدة بني سلامة، وحلوان في مصر السفلي(الشمال)،

نستطيع أن نتعرف على بوادر تطور الديانة في عصور ما قبل الحضارة المصرية القديمة من المقابر وطرق دفن الجماعات البشرية في تلك الفترة، وهو دليل دامغ على اعتقادهم بوجود حياة ما بعد الموت.[170]

في حضارة البداري، كانت أجساد الموتى تلف أو توضع بداخل الجلود الحيوانية، وهي ملابس الصيد في تلك الفترة فكان من الطبيعي أن تكون أيضًا ملابس المقبورين ، وفي حضارة مرمدة بني سلامة، كانت أجساد الموتى تدفن داخل نطاق القرية البدائية وأحيانًا تحت مساكنهم، وبالقرب من أماكن وجود النار، لبث الدفء في أوصال الموتى، وحمايتهم في حياتهم الأخرى، بالإضافة لمشاركتهم حياتهم والعبادة باعتبار أن النار هي من مقدسات هذا العصر.[171]

فكر المصري القديم في بيئته، الشمس التي تشرق وتغيب، والقمر يكتمل أحيانًا وينقص أحيانا أخرى، ونهرٌ ينبع من الجنوب، ويصب في الشمال حيث البحر الواسع المفتوح، وهكذا تعددت المعبودات، واختلفت في شكلها ووظائفها، أيضًا تأثرت الديانة بطبيعة البلاد، فاتخذت الديانة طابعًا خاصًا يتفق مع أسلوب الحياة الهادئ، والعمل المستمر الذي تعود عليه المصري القديم من زراعة، و تربية ماشية، وفيضان النيل السنوي، وبعض العواصف الرعدية التي ظنها المصري ألهة كبرى تتعارك فوق السحاب، وتظهر من خلفها الشمس كأنها منتصرة، وكانت الشمس أيضًا تعتبر بمثابة صديق لشعب مصر، فهي تمنحه الحرارة في أيام الشتاء الدافئة.

وهكذا تكونت من كل المظاهر الطبيعية عدة آلهة أحاطت بالإنسان المصري القديم ولعبت دورًا مهمًا في حياته اليومية، وقسم المصري القديم الآلهة إلي آلهة كونية كبرى تعتني بأمور الكون، وتسيير حركة الكواكب، والنجوم، والحياة ككل، وآلهة محلية صغرى يستطيع الإنسان أن يلجأ إليها إذا ما مرضت بقرته مثلًا أو داهمه الخطر.

ولكي نفهم مراحل تطور الديانة، لابد أن نبدأ بشرح طريقة الدفن، وما تمثله من رموز، فوضع الدفن الاعتيادي بداخل المقبرة في عصور ما قبل التاريخ الفرعوني كان الرقود على الجانب الأيسر في الوضع الجنيني، والرأس ناحية الجنوب حيث يواجه الجسد اتجاه الغرب، ويمكننا استخلاص المعني من كتب نصوص الأهرامات الشهيرة، حيث أن المتوفي بهذه الوضعية هو مدعو لأن ينهض، ويستدير على جانبه الأيمن ليتلقى القرابين، ورأسه ناحية الجنوب منابع النيل، وجسده ناحية الغرب.

170 خزعل الماجدي : أديان ومعتقدات ماقبل التاريخ،

171 چورچ سعد: تطور الديانة المصرية القديمة " الجزء الأول "، مدونة الباحثون المصريون، الرابط: HTTPS://WWW.EGYRES.COM/ARTICLES يوم: 09 جويلية 2016.

الواقع أن عقيدة البعث، والخلود هي مركز الثقل وحجر أساس الذي قامت عليه كل الحضارة المصرية العظيمة بكل أثارها، وأهراماتها، ومعابدها، وكنوزها التي تحدت الزمن، ومازالت قائمة حتي يومنا هذا ، ففي مصر العليا(الوجه القبلي) سادت فكرة أن الغرب هو أرض الموتى، حيث دفن المتوفي في الغرب أو وجهه ناحية الغرب حيث تذهب الشمس لتغيب في المساء؛ لتواصل رحلتها في عالم الموتى تحت الأرض لتولد صباح اليوم الجديد من ناحية الشرق؛ مما عزز لديهم فكرة وجود حياة أخرى بعد الموت سوف يبعثون ليصبحوا خالدين في حقول (إيارو) أو الجنة بمفهومه، فبني المصري القديم مدنه، وعاش حياته في البر الشرقي من النيل، بينما دفن موتاه في البر الغربي، وتمثل الصحراء بالليل أو عالم الموتى، فالإنسان يحتاج للمؤنة والأطعمة معه إن كان على سفر، كذلك يحتاج الميت إمدادات طازجة يجلبها له أقاربه الأحياء من حين لأخر.

أما في مصر السفلى(الوجه البحري)، فإننا نقابل مفهومًا مختلفًا، فالأفق المفتوح الممتد للدلتا، ومن خلفها البحر عزز فكرة وجود عالم الموتى في السماء، حيث تتحول الأرواح إلى نجوم، كذلك تصف نصوص الأهرامات اللاحقة لتلك الفترة رحلة صعود الملك المتوفي إلى السماء عبر سلم عظيم لتبقى روحه خالدة وسط النجوم لاحقًا، وبعد التوحيد انصهرت الفكرتان معًا ليكونوا أصل الديانة المصرية القديمة، وهي عقيدة البعث، والخلود.[172]

مثلما كان الوضع في العصور ما قبل التاريخية، فإن العالم بالنسبة للمصري القديم هو عالمٌ ملئ بالآلهة! فمن كل ركن من أركان مصر القديمة ينبثق وجود غريب يثير تساؤلات العقل .. و بالإضافة للآلهة الكونية الكبرى، فإن العقائد الدينية التي ارتبط بها المصري القديم في عبادته لآلهته الصغرى أو المحلية تمثلت في ثلاثة أنواع، الأول هو عبادة الأشكال الحيوانية، والطيور، و التي اختار بعضها ليقدسها؛ بسبب اعتقاده أن تلك الحيوانات أو الطيور تحوي شيئًا من القوة الإلهية أو الحكمة الخالدة، وقد قدس المصري القديم القوة المجهولة في الحيوان، والتي اختارت الحيوان لتتجسد فيه، وليس الحيوان بذات نفسه، فهو قدس البقر (حاتحور) رمز الأمومة والحب، لكنه لم يعبدها ولم يجد حرج في أن يذبح البقرة ليتغذى بلحمها، كذلك الحال بالنسبة للتمساح (الإله سوبك)[173] لم يجد حرجًا في أن يقتله دفاعًا عن نفسه، كما أعجب المصري القديم بهيبة وضراوة الحيوانات البرية، وقوتها، فعلىَ صلايات ولوحات العصور القديمة نجد صور لثيران وأسود، وهي رمز للملك في قوته، وسلطته المسيطرة ،وهكذا، ظهرت آلهة واختلفت أسمائها من إقليم لإقليم، واندثرت آلهة أو تحولت وتحورت لتندمج مع حيوانات أو ألهة أخرى بمسميات مختلفة، وكمثال على ذلك المعبودة (بات) التي يُرمز لها برمز البقرة، تحولت في العصور

172 يسرية عبد العزيز حسني : الديانة المصرية القديمة،

173 سوبيك أو سوبك أو سُبك (كما يمكن نطق اسمه : سِبك ، سوخت ، سوبكي) ، هو إله مصري قديم مع طبيعة متعددة الجوانب ، فهو إله مرتبط بتماسيح النيل ، و يمثل صورياً إما في شكل التمساح أو في شكل إنسان برأس التمساح ، و ارتبط سبك كذلك بالسلطة الملكية و الخصوبة و البراعة العسكرية ، و قد اعتبر كذلك إلهاً وقائياً ضد الأخطار بصفات طاردة للشر ، ارتبطت بوجه خاص مع الأخطار التي يمثلها النيل بفيضانه.

القديمة إلى (حاتحور)، ونستطيع أن نؤكد أن المصري القديم لم يقدس حيوان لذاته، فما عبدوه قدماء المصريين هي الرموز الأرضية للقوى الكونية الخفية التي لا تعيش معه على الأرض.

والنوع الثاني هو عبادة الأشكال النباتية، فقد اعتقد المصري القديم أن شجرة الجميزة مرتبطة بالآلهة (حاتحور) التي مُنحت لقب سيدة الجميزة كآلهة أنثى طيبة تنفع الناس.

أما النوع الثالث والأخير فهو عن العبادة المرتبطة بالأشكال المادية غير الحية، مثل الحجر المقدس أو ما يعرف بالـ (بن بنbenben) وهو على شكل مسلة، كذلك عامود الـ (چدDjed) وهو مرتبط بالإله أوزيريس.[174]

2) العبادات في الدّيانة العراقيّة القديمة:

كان للدين اثر كبير في حياة الامم القديمة والمجتمعات على اختلاف عاداتها وتقاليدها والقوانين المتحكمة بها، لذا فان دراسة النظام الديني يمثل القدر الاكبر من تاريخ الشعوب، مهما اختلفت الديانات وتباينت فإنها تشترك في وجود قوة او قوى غيبية عليا يسعى الانسان دائماً الى التقرب اليها عن طريق العادات والطقوس الخاصة لكل ديانة.

وما يخص الديانة في بلاد الرافدين فإنها نشأت بشكل فردي او في مرحلة تاريخية محدد، وكانت عبارة عن ردود فعل مشتركة لأقوام ما قبل التاريخ تظافرت افكارهم واحاسيسهم بعضها ببعض ممزوجة بثقافتهم التقليدية والمتوارثة ، لذا فقد جاء الدين متناغماً مع عادتهم الطبيعية في التفكير والشعور والحياة.

وفي الحقيقة يمكن تصوير الواقع الموضوعي لفكر الانسان الديني لا سيما في النظام الديني لبلاد وادي الرافدين ، من خلال استقراء المخلفات المادية واعمال معينة تجسدت في صور فنية باعتبار ان الفن في العصور القديمة ما هو الا انعكاس للحياة الاجتماعية والدينية والدعامة الاساسية لكل حضارة ، لذا فقد عمل الانسان على تصوير متاعبه ومعاناته وانتصاره على تلك المتاعب ، فحفر ورسم اشكالاً للحيوانات المختلفة وبوضعيات وواقعية متناهية واقتنع بأن الاشياء الطبيعية يمكن ان تتحول الى ادارات قادرة على التأثير بالعالم الخارجي وتغييره .[175]

وبعد تفكر وتأمل استنتج ان الاشياء المستحيلة يمكن الوصول اليها بأدوات سحرية ما دامت تلك الاشياء متشابهة او متطابقة ، لذا فان قوته ازاء الطبيعة قادرة على التحكم بالأشياء والسيطرة عليها حتى اعتقد

174 ياروسلاف تشيرني: الديانة المصرية القديمة، ترجمة أحمد قدري، مراجعة محمود ماهر طه، المجلس الأعلى للآثار، مصر، ب س ن، ص 25.

175 رشيد الخيون: الأديان والمذاهب في العراق ، ماضيها وحاضرها، الجزء الأول، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية، سنة 2016، ص 53.

ان القوى السحرية هي قوى شاملة وغير محدودة. فأخذ يرسم انواعاً مختلفة من الطيور والحيوانات والأسماك التي يقتات عليها وقد رسمها بدافع سحري ، اعتقاداً منه بان رسم تلك الصور سيجعلها تحت سيطرته وبهذا فان الانسان قد وجد بهذا الطريق ما يعتقد بانه عوناً له في مواجهة الطبيعة.

مع استقرار الانسان في مستوطنات زراعية وانتقاله في مرحلة جمع القوت ، اخذت الافكار الدينية تتبلور بصورة اوضح وذلك لارتباط الطبيعة وتداخلها بصورة اعمق في الحياة اليومية . لذا فقد مثلت الارض الزراعية وما يرتبط بها العنصر الاساس والمحور التي دارت حولها بدايات الديانة والعبادة الاولى فعمل الانسان أنذاك على تجسيد القوى المهيمنة والمؤثرة في الانتاج بهيئة الهة تصورها قياساً على الجنس البشري (ذكر وانثى) ، فكان هذا هو الحال بالنسبة لبداية الديانة والمعتقدات الدينة في بلاد وادي الرافدين. حيث انتخب القوم اهم الظواهر الطبيعية التي كانت لها اثر قوي في حياتهم وجسدوها بعدئذٍ وشخصوها على هيئة الهة فعبدوها واقتربوا اليها ابتغاء لرضاها واتقاء لشرها.

اذن بالنتيجة فقد نسب الفرد العراقي القديم كل مظاهر الخصب والانماء والتكاثر بما في ذلك تكاثر الانسان والحيوان الى قوى الخصب المتمثلة بالآلهة الام حيث تجسدت في هذه الالهة امرأة حبلى عارية شخصت فيها بمبالغة معالم الانوثة والخصوبة والولادة . وقد وجدت الكثير من هذه الدمى في قرى زراعية يرقى زمنها الى الاف السادس قبل الميلاد مثل قرية جرمو وحسونة وتل الصوان وحلف والعبيد. بالمقابل نجد هناك دمى ونقوش على شكل رأس ثور وجدت في فخار عصر حلف حيث كانت هذه الرموز تشير الى العنصر الذكري في الطبيعة وانه عد نظيراً للآلهة الام .

وتشير الاواني التي وجدت في قبور حسونة وحلف، والتي ربما احتوت على بعض المواد الغذائية والماء، الى نوع من الاعتماد بحياة ما بعد الموت وكذلك الامر بالنسبة للحلي والادوات الاخرى التي لا بد وان الغاية من دفنها مع الموتى هي استخدامها من قبل الاموات في العالم الاخر.[176]

مع ذلك فان هذه التصورات لم تحدد معالم الفكر الديني الواضح في بلاد الرافدين اذ انها مثلت ممارسات سحرية او سبه سحرية ذات طابع تعبدي شأنها السيطرة على قوى الطبيعة فضلاً عن التركيز عبى الارض عن التركيز على الارض وخصوبتها وما ارتبط بها من تقديس مصور على شكل المرأة أي ملامح الديانة لم تكن قد نضجت بعد حسبما اشارت اليه المكتشفات الاثرية العائدة الى تلك الفترة (العصر الحجري المعدني).

176 طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، دار الوراق للنشر المحدودة، الطبعة الثانية، بيروت لبنان، سنة 2012، ص 183.

لأن الاثار المادية والمخلفات الصورية لا تعطي شرحاً واضحاً للنظام الديني او المعتقدات الدينية لعصور ما قبل التاريخ ، لذا فان معرفة الباحثين بالحياة الدينية اخذت تزداد تدريجياً بالنسبة لظهور الكتابة وشيوع استخدامها في شتى أضاف المعارف والعلوم وفي الواقع ان المصادر المدونة عن الحياة الدينية عند العراقيين القدماء كثيرة جداً حتى باتت تشكل مشكلة للباحثين لتنوع النصوص وكثرتها.

لقد احتوت النصوص المكتوبة بالخط المسماري[177] باللغتين السومرية والاكدية[178] اهم ما كتب عن المعتقدات والمتمثلة بالطقوس والشعائر الدينية والآراء الفلسفية حتى اصبح من النادر ان يخلو نص مسماري مهما كانت طبيعته ومضمونه من اشارة مباشرة او غير مباشرة من ذكر للديانة الرافدينية القديمة. والنصوص التي كانت ذات صلة مباشرة بالنظام الديني في العراق القديم تتنوع من حيث المضمون فمنها الاساطير الخاصة بخلق الكون والانسان وعالم ما بعد الموت ومنها ما يذكر اسماء الالهة والقابهم وعلاقتهم مع بعضهم ومنها ما نص على الادعية والتراتيل والنصوص التي تصدر من الكهنة حول كيفية اقامة الشعائر والاحتفالات الدينية وكيفية بناء المعابد وما يتعلق بإدارة المعبد وشؤون موظفيه على مختلف اصنافهم.

مع وجود هذه المصادر اصبح من الممكن رسم صورة عن الواقع الديني الشامل لديانة بلاد الرافدين وعن النظام الديني والمعتقدات الخاصة بالعراقيين القدماء . ومن الطبيعي ان تكون هناك مستويات للديانة جاءت الالهة في مقدمتها كونها الاكثر تقدسياً و تكريماً في المجتمعات القديمة.

وهذه (الديانة) البدائية قد واكبت مرحلة الصيد والالتقاط حيث كان الغذاء متيسرًا ويعتمد على الثمار والنباتات البرية والحيوانات الصغيرة، وبالتالي كان همُّ الإنسان هو التخلص من المخاطر التي تهدد حياته سواء من البيئة التي يعيش فيها بما فيها من حيوانات مفترسة ومظاهر طبيعية متنوعة أو من أبناء جلدته المشاكسين والفضوليين، فبدأ يعتمد، إضافة إلى قدراته الجسدية (العضلية)، على السحر الذي يحاول به التأثير على الأشياء من حوله لتكون طوع بنانه أو تكفيه شرها. وفي مرحلة لاحقة ربط نفسه بشيء ما ليكون هذا الشيء بمثابة الحليف أو المعين الذي يعتمد عليه في درء المخاطر، وقد كان يصنع لهذا الشيء، حيوانًا كان أم نباتًا أم جمادًا، رمزًا يبقيه على مقربة منه من أجل أن يحفظه أو يحميه. إذًا فقد تسلح الإنسان آنذاك بالرقى والتعاويذ والتمائم التي

---

[177] الكتابة المسمارية هي نوع من الكتابة تنقش فوق ألواح الطين والحجر والشمع والمعادن وغيرها. وهذه الكتابة كانت متداولة لدى الشعوب القديمة بجنوب غرب آسيا.

[178] هي اللغة التي تحدث بها السومريون في جنوب بلاد الرافدين منذ الألفية الرابعة قبل الميلاد على أقل تقدير. خلال الألفية الثالثة قبل الميلاد، حصل تطور تكافلي ثقافي بين السومريين والأكديين، تضمن هذا التطور انتشارا واسعا للثنائية اللغوية (كتابة لغتين في آن واحد). كان تأثير السومرية على الأكدية (والعكس صحيح) واضحاً في جميع المجالات، من الاقتراض المعجمي واسع النطاق، إلى النحو، والصرف، وحتى التقارب الصوتي. هذا الذي جعل الدارسين يشيرون إلى أن اندماجا لغويا حصل في الألفية الثالثة قبل الميلاد.

مع مرور الزمن استبدلت السومرية بشكل تدريجي بالأكدية في حوالي الألفية الثالثة أو الثانية قبل الميلاد، لكن السومرية استمرت كلغة مقدسة، وطقسية، وأدبية، وعلمية في بلاد الرافدين حتى القرن الأول قبل الميلاد. مع مرور الزمن، أصبحت اللغة السومرية منسية حتى القرن 19، عندما قام علماء الآشوريات بفك رموز المسمارية والتنقيب عن الآثار التي تركوها ناطقي هذه اللغة. تعتبر اللغة السومرية لغة معزولة لا تشابه أي لغة في المناطق الجغرافية القريبة منها.

تساعده في حماية نفسه من المخاطر وإبعاد الشر عنه، ونظرًا لتحول الإنسان من الحياة الوحشية إلى الحياة العائلية في فترة من الفترات فقد استمر معه هذا التقليد وأصبح لكل عائلة أو جماعة طوطم حام قد يكون ثعلبًا أو سنجابًا أو صخرة أو نخلة إلى آخره تبعًا لما هو موجود في البيئة التي يعيش فيها الإنسان. ويُعتقد أنَّ النخلة وشجرة النبق والطين من الأشياء التي أكثر العراقيون القدماء من اعتمادها كطواطم في تلك الفترة القديمة. ولكن هذه (الديانة) البدائية شابها التغيير في وقت ما عندما برز زعماء الجماعات أو حكمائهم نتيجة لدورهم الهام في حياة الجماعة، فقد جرى تقديسهم لينشأ ما يعرف بعبادة الأسلاف (لا يمكننا أن نجزم بوجود هذه الظاهرة في أي فترة من تاريخ العراق القديم المبحوث من قبل المؤرخين وإن كنا لا ننكر احتمال ظهورها في فترة ما، ثم ربما خبت بعد ذلك ما جعل وجودها ضئيلاً أو معدومًا في ديانات العراق التالية). وبعد ظهور الديانة المنظمة في فترة لاحقة كتطوير لـ (الديانة) الطوطمية تخلفت بعض العادات والطقوس الطوطمية التي بقيت جزءًا هامًا من موروث العقل الديني (العراقي بشكل خاص) إلى وقتنا الحاضر كالحروز والتمائم والأختام والأحجار والعلك والتربة ورمي الماء خلف المسافر والراية (البيرق) وشرب الماء المخلوط بالطين (الجروة)... الخ.

الديانة الرافدينية من أقدم الديانات في العالم، تعود جذورها إلى الألف الثامنة أو التاسعة قبل الميلاد، مرت على ما يرجح بعدة مراحل أولها العبادة الأنثوية (عبادة الآلهة الأم) التي واكبت مرحلة اكتشاف الزراعة، أي ارتبطت بالحاجة إلى توفير الرزق وإدامة الخير، أي أضافت وظيفة جديدة غير وظيفة الحماية المرتبطة بفكرة الطوطم البدائية. وربما نستطيع أن نحيل إلى هذه الفترة بعض الأساطير والمعتقدات الدينية الرافدينية كقصة نزول اينانا (عشتار) إلى العالم الأسفل، وفكرة خلق الإنسان بطريقة الزرع تشبيهًا بعملية الزراعة، ولعل هذا مما يشير إلى هيمنة المرأة في الحياة الاجتماعية حيث كانت تمثل الخصب والنماء، وهي التي تمارس مختلف الإعمال وتتزعم العائلة أو المجموعة. ومن مخلفات تلك الفترة وجود منصب الكاهنة العليا لمعبد (إينانا) في أوروك. وأخيرًا حصل تطور كبير نتج عنه الإطاحة برمز الإلوهية الأنثوي الذي ربما نتج بتأثير غزو خارجي، ربما من شعب جبلي أو بدوي، أو أن ظروف الإنتاج الجديدة فرضت ذلك خصوصًا بعد بروز الحاجة لتأسيس أولى النظم السياسية. ويبدو أنه تم توثيق أصداء ذلك من خلال قصة الخليقة البابلية التي أشارت إلى الإطاحة بحكم الإلهة تيامات وتحول السلطة إلى الثالوث المقدس (آنو، إنليل، أيا)، وعلى إثرها، أو بالتزامن معها، شاعت العبادة الثلاثية في أكثر من مكان من العالم القديم. وفي هذه الفترة أيضًا بدأ عهد جديد تمثل ببروز الصناعة البدائية: صناعة جرار الفخار والأواني والحلي والمصوغات المعدنية والتماثيل. ويبدو أنَّ هذا التطور هو الذي طرح فكرة الخلق، فأصبح الإله لا يمتاز بصفة الحماية والمعاونة وحسب بل هو الخالق والراعي أيضًا. لكن الديانة الرافدينية اتسمت بسمات أخرى أهمها إيمانها بأن كل شيء آيل إلى الفناء، حتى الإلهة، التي نتصورها خالدة، هي، وفق المفهوم الرافديني،

ليست خالدة تمامًا لأنها مهددة بالفناء القادم من قوى الفوضى المتربصة والمجمدة لأن الإله (ابسو) - زوج تيامات[179] - لم يمت بل جرى تخديره ثم سجنه تحت طبقات الأرض ليمثل المياه الجوفية، وبالتالي بإمكان هذه القوى العودة لحكم الكون من جديد، حيث ما زال، حسب المعتقد القديم، زئير ابسو يخرج من الأعماق على شكل زلازل وهزات أرضية. ومن الدلائل على عدم خلود الآلهة الرافدينية وجود آلهة موتى في الموروث الرافديني، ولذلك فالإله الرافديني لا يستطيع ضمان سلامتك على طول الخط، فهناك شيء يبقى عصيًا عليه، ولذا فالإنسان لا يستطيع أن يضمن جريان الأمور بشكل طبيعي؛ فإن أمن إلهًا ما فهو لن يستطيع أن يضمن جميع الآلهة التي بمقدورها جميعًا، وليس إلهًا واحدًا، تقرير المصائر، وإن ضمن جميع الآلهة فلن يستطيع أن يضمن القوى المتربصة التي لا تخضع لقانون الكون. هذا الأمر جعل العراقي القديم لا يؤمن بوجود حياة أخرى (جنة ونار) ولا يقدس البشر، أيًا كانت وظيفتهم سواء كانوا ملوكًا أو رجال دين، ولا يثق بمساعدة الآلهة بشكل كلي، والموت بالنسبة له هو نهاية حتمية ومطلقة يفنى بعده الجسد بتأثير عوامل الطبيعة وتذهب الروح إلى أرض اللاعودة (العالم الأسفل) لتبقى هناك سجينة إلى الأبد. ولم يتغير جوهر هذا الدين طوال مسيرة حضارة وادي الرافدين، وإن جرت بعض التغييرات الشكلية بتأثير بعض الأقوام الوافدة، ومن المؤكد أن أول تأثير كان في مرحلة عصر فجر السلالات الأول من قبل قوم، قد يكونون من الوافدين، آمنوا بعودة الجسد، حيث تشير المقبرة الملكية في أور إلى اعتقاد من هذا النوع، لكن هذه الجماعة سرعان ما تخلت عن اعتقادها بسرعة ولم نجد مثيلاً له بعد ذلك. ثم حصل تغيير آخر في عصر الدولة الآكادية عندما أله الملك نارام سن نفسه، ربما بتأثير بعض الأقوام أو البلدان التي أخضعها، وقد أثار ذلك كهنة البلاد فأطاحوا به من خلال ثورة عارمة أشارت إلى أحداثها بعض النصوص المسمارية، وحصل مثل ذلك في عهد شولكي، ثاني ملوك سلالة أور الثالثة. ولكن أهم تغيير هو الذي تمثل - من وجهة نظري - بظهور التفريد الذي أخضع جميع الآلهة لسلطة إله واحد هو الإله مردوخ، إله مدينة بابل بعد أن استوت بابل كعاصمة لإمبراطورية ذات آلهة كثيرة، وقد كانت محاولة يراد منها دعم السلطة السياسية أو هيمنة بابل على الأقاليم. ومن الجدير بالذكر أنَّ بعض المؤرخين يعدون التفريد العامل الأساس في ظهور الديانة اليهودية حيث ناظر اليهود بين إلههم والإله الأكبر وبين الملائكة وبين الآلهة الأقل شأنًا في الديانة الرافدينية. أما مخلفات هذه الديانة في عقلنا الديني فتتمثل ببعض الطقوس الحسينية أو الشيعية كإحياء عاشوراء الذي يماثل إحياء العراقيين لعيد الاكيتو الذي يستمر إحدى عشر يومًا، وتلاوة قصة مصرع الحسين التي تماثل تلاوة قصة الخليقة البابلية، وتمثيل عرس القاسم الذي يماثل طقس الزواج المقدس لدى العراقيين، وفداء العباس لأخيه الحسين وبكاء الأخير عليه الذي يماثل فداء انكيدو (أخ جلجامش بالتبني بعد إعلان أم جلجامش أمومتها له) لجلجامش

[179] تيامات هي إلهة المحيط في ديانات حضارات ما بين النهرين القديمة (السومرية والأشورية والأكدية والبابلية) التي تتزوج من أبزو إله المياه العذبة لينتجا آلهة أصغر. ترمز تيامات لفوضى الخلق البدائية وتصور بهيئة أمراة تمثل الأنوثة والجمال بشكل متلألىء. هناك شقان لهذه الأسطورة, إحداها تقول إن تيامات هي إلهة خالقة من خلال زواج مقدس سلمي بين الملح والمياه العذبة حيث خلق الكون خلال الأجيال المتعاقبة. في الجزء الثاني من ملحمة فوضى الخلق تظهر أسطورة تيامات كتجسيد وحشي للفوضى البدائية و تصور تيامات بها على شكل ثعبان البحر او تنين.

وجزع الأخير عليه، ثم مفهوم التضحية الحسيني الذي أقترن بطقس موت تموز، وفرحة الزهراء التي تماثل فرحة إينانا (عشتار أو الزهرة) بعودة تموز عند العراقيين القدماء؛ هذا ناهيك عن طقوس الحزن التي تماثل سمة الحزن لدى العراقيين القدماء النابعة من حياتهم الصعبة ومعاناتهم المختلفة، وخير مثال على ذلك حزن إينانا (عشتار) على ثورها السماوي الذي قتله جلجامش، إذ جمعت المتبتلات وبغايا المعبد وأقامت مناحة على فخذه الذي قذفه جلجامش عليها في سورة من غضبه.[180]

أعقب ذلك بوقت قصير مجيء الكشيين، الهندو أوربيين، كجزء من موجة شملت معظم أنحاء الشرق الأوسط (الأدنى) حيث استولوا على بابل، وأسسوا فيها سلالة حاكمة هي سلالة بابل الثالثة حيث اعتنقوا ثقافة البلاد وديانتها. لكن، من المرجح أنَّ هذا الأمر لم يشمل جميع الكشيين إذ بقي بعضهم، لاسيما رجال الدين، على ديانتهم التي أخذت تتأثر بالديانة الرافدينية، وربما هاجر بعضهم إلى فلسطين حيث نشروا ديانتهم هناك بعد أن ضمنوها الكثير من القصص والأساطير المتداولة. ومما يبدو فإنهم كونوا شخصية إبراهيم من عدة شخصيات منها، على الأرجح، شخصية راما التي أخذوها من موروث الأقوام الهندو أوربية، لاسيما قصة (الرامايانا)، هذا إنْ لم تكن هذه القصة قد انتقلت إلى الهند خلال مرحلة لاحقة، مثلما أخذوا أيضًا مفهوم الجنة والنار، وتقديس البشر، والإيمان بالخوارق والمعجزات، وعمل المحارق، ومفهوم الكتاب المقدس... الخ. كذلك تتشابه قصة يوسف وزليخا التوراتية مع قصة جلجامش وإينانا (عشتار) عندما أغوته وأملته بالسعادة والهناء فما كان منه إلا أن ردها وشتمها الأمر الذي سبب له المتاعب كما حصل ليوسف. أما شخصية موسى فهي مكونة من قصص تعود إلى ثلاث شخصيات: الولادة تشبه قصة سرجون الآكدي، والهجرة من مصر مأخوذة من قصة سنوحي المصرية، واستلام الرسالة تشبه قصة استلام زرادشت للرسالة. أما قصة سليمان فربما أخذت بعض تفاصيلها من سيرة الملك الأشوري شلمانصر (لاحظ تشابه الاسم) وربما مزجت أيضًا بأساطير من حضارات مختلفة. أما قصة الخروج من مصر فربما لها علاقة بخروج بقايا الهكسوس بعد فشل مشروع ديانة اخناتون الذي يرجح أنه تأثر بالتوحيد الهكسوسي وربما لم تقم الجماعة اليهودية بكتابة سيرة ديانتها إلى أثناء السبي الآشوري خلال القرن الثامن الميلادي حيث واكب ذلك، على ما يبدو، عملية تدوين التراث العراقي التي قام بها بعض الملوك الأشوريون، وبالذات الملك آشور بانيبال باني مكتبة نينوى المسمارية، فاستفادوا منه في إعادة تدوين تراثهم وتعزيزه بأفكار وقصص من تراث العراق القديم حيث استمر التدوين اليهودي طوال العهد الكلداني التالي مع حصول سبيين بابليين لاحقين لليهود بواسطة الملك نبوخذ نصر الثاني. وبعد مجيء الفرس وعودة أغلبية الجالية اليهودية إلى فلسطين أخذوا معهم ما دونوه عن تاريخهم، بما في ذلك التوراة التي ربما اقتبست، ككتاب وليس كنص ديني مقدس، من نموذج

180 جان بوتيرو : بلاد الرافدين الكتابة – العقل –الآلهة، ترجمة الأب البير أبونا، مراجعة وليد الجادر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، سنة 1990، ص ص 243-330.

Siteweb :www.dernounisalim.org Email : s.dernouni@univ-biskra.dz / anthropders@gmail.com
http://elearning.univ-biskra.dz/moodle/course/index.php?categoryid=243

الكتاب الأشوري الذي برز خلال هذه الفترة. أما مخلفات هذه الديانة في العقل الديني العراقي فهي متنوعة منها الاعتقاد بالحياة الأخرى والحساب، وتقديس البشر، وإقامة المقامات لهم على غرار ما يفعل اليهود.[181]

3) العبادات في الدّيانة اليونانيَّة القديمة:

مدخل تاريخي:

يجمع المؤرخون على ان الديانة اليونانية تعد من اعقد الديانات الوضعية القديمة. و يرجع المؤرخون المحدثون بأن الاساطير اليونانية القديمة هي المصدر الرئيسي للفكر الديني اليوناني، و ذلك بما تحويه من قصص عن أصول الالهة و أسمائها و أشكال الطقوس وأسس العبادات. وإذا بحثنا عن العناصر الموحّدة في حضارة هذه المدن اليونانية المتفرقة وجدنا منها خمسة عناصر جوهرية: لغة مشتركة ذات لهجات محلية؛ وحياة ذهنية مشتركة لا يعرف من رجالها في الأدب والفلسفة والعلوم خارج حدود بلادهم السياسية إلا كبارهم، وشغف مشترك بالألعاب الرياضية ينفسون به في المباريات التي تقام بين الأفراد في المدن نفسها أو بين الدول بعضها وبعض، وحب للجمال تعبر عنه المدن بأشكال من الفن عامة بين الجماعات اليونانية كلها، وطقوس وعقائد دينية موحدة بعض التوحيد.

وكان الدين عاملاً في التفرقة بين اليونان بقدر ما كان في وحدتهم. فقد كان من وراء عبادة آلهة الأولمبس العامة البعيدة، وهي العبادة التي كان فيها قسط كبير من الأدب والمجاملة، عبادة أقوى منها للآلهة وللقوى التي تدين بالطاعة لزيوس. وكانت النزعة الانفصالية القبلية والسياسية تغذي الشرك وتجعل التوحيد مستحيلاً. فقد كان لكل أسرة في أيام اليونان القديمة إلهاً الخاص، توقد له في البيت النار التي لا تنطفئ أبداً، وتقرب له القربان من الطعام والخمر قبل كل وجبة. وكان هذا الاقتسام المقدس للطعام بين الآدميين والآلهة أول الأعمال الدينية الأساسية التي تعمل في البيت. وكان المولد والزواج والموت تُخلع عليها هالة من القداسة بالطقوس القديمة أمام النار المقدسة، وبهذه الطريقة كان الدين عاملاً في خلق الشعر الصوفي وفي إكساب الحوادث الرئيسية في الحياة البشرية مسحة من الوقار أعانت على استقرارها وثباتها. وكذلك كان لكل جماعة بطناً كانت أو عشيرة أو قبيلة أو مدينة إلهها الخاص، بها فكانت مدينة أثينة تعبد الإلهة أثينا؛ والوسيس تعبد دمتر، وساموس تعبد هيرا، وإفسوس تعبد أرتميز، وبوسيدونيا تعبد بوسيدون. وكان وسط المدينة وأعلى مكان فيها ضريح إلهها، وكان الاشتراك في عبادة إلهها رمز مواطنيها وميزتهم والواجب المفروض عليهم. وإذا ما خرجت المدينة للحرب حملت معها في مقدمة جيوشها صورة إلهها وشعاره، ولم تكن تخطو خطوة خطيرة إلا بعد استشارته بسؤاله عما يخبئه الغيب لها. وكان لها عليه في نظير هذا أن يحارب في صفها، وكان يبدو لأهلها أحياناً أنه قد يتجلى لهم في مقدمة الجيش أو فوق رماح

181 باسم مُحَمَّد حبيب، قراءة في العقل الديني العراقي، موقع معابر على الرابط: HTTP://WWW.MAABER.ORG/ISSUE_MARCH10/LOOKOUT3.HTM

الجنود. ولم يكن النصر مقصوراً على غلبة مدينة لمدينة بل كان يشمل فوق ذلك غلبة إله لإله. وكانت المدينة، كما كانت الأسرة وكما كانت القبيلة، تحتفظ على الدوام بنار مقدسة موقدة عند مذبح عام في بهو المدينة، ترمز لحياة منشئتها وأبطالها القوية الخالدة؛ وكان مواطنوها يجتمعون في مواسم معينة ليطعموا جميعاً أما هذه النار. وكما كان أب الأسرة هو أيضاً كاهنها، كذلك كان حاكم المدينة الأكبر أو أركونها كبير كهنة في دين الدولة، وكان الإله يخلع على سلطانه وأعماله كلها ثوباً من القداسة. وهكذا استحال الإنسان بفضل تجنيد الآلهة على هذا النحو من صياد جوال إلى مواطن مستقر.

وحرر الاستقلال المحلي خيال اليونان الديني من القيود فأخرج للعالم أساطير دينية موفورة ومجموعة كبيرة من الآلهة. فكان كل شيء وكل قوة في الأرض أو السماء، وكل نعمة أو نقمة، وكل صفة- ولو كانت رذيلة- من صفات الإنسان، تمثل إلهاً في صورة بشرية عادة. وليس ثمة دين يقرب آلهته من الآدميين قرب آلهة اليونان. وكان لكل حرفة، ولكل مهنة، ولكل فن، إله خاص أو راع حارس؛ بلغة هذه الأيام. وكان عند اليونان فضلاً عن هذا شياطين، ونساء مجنحة، وآلهة انتقام، وجن، وأرباب بشعة المنظر، وإلاهات ذوات صوت شجي يسلب العقول، وحور عين في البحار والغاب لا يقل عددهن عن سكان الأرض من الآدميين. وفي هذه البلاد بنوع خاص لا تبقى حاجة للسؤال القديم "هل الدين من وضع الكهنة؟". ذلك أن من غير المعقول أن أية مؤامرة يدبرها رجال الدين الأولون تستطيع أن تخرج هذه الكثرة من الآلهة. وما من شك في أن من أكبر النعم التي ينعم بها هؤلاء الأقوام أن يكون لهم كل أولئك الآلهة، وكل هالة القصص الفتانة الساحرة، وكل هذه الأضرحة المقدسة والحفلات المهيبة المرحة. لقد فُطر الإنسان على أن يعبد آلهة متعددة كما فُطر على الزواج من نساء متعددات، ولا يقل عمر فطرته الأولى عن فطرته الثانية، لأنها توائم كل المواءمة ما في العالم من تيارات متعارضة. وإن مسيحية البحر المتوسط في هذه الأيام لا يعبد فيها الله بقدر ما يعبد فيها الأولياء والقديسون. ذلك أن الشرك هو الذي يوحي إلى حياة السذج بالأساطير وما فيها من خيال وسلوى؛ ويهب النفس الذليلة المعونة والراحة واللتين لا تجرؤ على انتظارهما من كائن أعلى رهيب بعيد لا تستطيع الوصول إليهِ .

وكان لكل إله من الآلهة أسطورة (Mythos) أي قصة، متصلة به تشرح سبب وجوده في حياة المدينة، أو تفسر الطقوس التي تقام تكريماً له. وقد أصبحت هذهِ الأساطير التي نشأت نشأة تلقائية مما في المكان ومما لدى الناس من معارف، أو كانت من وضع الشعراء الدواوين وزخرفهم، أصبحت هذهِ الأساطير عقيدة اليونان الأولين، وفلسفتهم، وآدابهم، وتاريخهم، جميعاً. فمنها استمدوا الموضوعات التي زينوا بها مزهرياتهم، وهي التي أوحت إلى الفنانين ما لا يحصى من الرسوم، والتماثيل، والنقوش. وقد ظل الناس إلى آخر أيام الحضارة الهيلينية يخلقون الأساطير، بل يخلقون الآلهة أنفسها، رغم ما أنتجته بحوثهم الفلسفية، ورغم محاولات عدد قليل منهم دعوة الناس إلى التوحيد. لقد كان في وسع رجال من أمثال هرقليس أن يعدوا أمثال هذهِ الأساطير مجرد

مجازات وتشابيه، وفي وسع آخرين أمثال أفلاطون أن يعدلوها ويوفقوا بينها وبين ما تقبله العقول، وفي مقدور رجال من أمثال زنوفانيز أن يندوا بها وينبذوها؛ غير أن بوزنياس، حين طاف ببلاد اليونان بعد خمسة قرون من عهد أفلاطون، وجد الخرافات والأساطير التي كانت تثير الحمية في قلوب الأهلين في عصر هومر لا تزال حية قوية. ذلك أن عملية تشعير الأساطير، وتشعير الدين عملية طبيعية، تحدث في هذهِ الأيام كما كانت تحدث على الدوام في العصور الخالية؛ وثمة نسبة للوفيات ونسبة للمواليد بين الآلهة. فالألوهية كالطاقة تبقى كميتها مهما تغيرت صورتها لا تكاد تنقص أو تزيد خلال الأجيال المتعاقبة .[182]

الهة الاوليمب وتأثر الثقافة اليونانية بديانات الشرق:

أتاحت فتوحات الاسكندر العسكرية فرصة تغلغل الثقافات الشرقية في الفكر اليوناني و طبعه بطباعها. فعبدت الهة المصريين بجانب الهة اليونان بعد تسميتها بأسماء اغريقية، واشهر هذه الالهة بتاح الذي اصبح هيفايستوس، (امون: زيوس) (حورس: ابولو) (خونسو: خرقل). وأقيمت المعابد المشتركة على يد الكاهن مانيتو و الكاهن تيموثياسو و اطلق على الاله اسم سيرابيس، وكان يجمع بين صورتي اوزيريس معبود المصريين و زيوس كبير الهة الاوليمب.

الهة المدن وازدهار عبادة الابطال:

نصب الاسكندر نفسه الها عام 323 ق.م وكان اليونانيون يؤلهون حماة المدن و يضعونهم في مرتبة اقل من الهة الاوليمب، كما كانوا ينظرون الى من يسجدون للإسكندر من الفرس بوصفه معبودا نظرة استخفاف وازدراء في بداية الامر ولا سيما الفلاسفة و المثقفون. غير ان هذه النظرة سرعان ما تحولت الى النقيض بفضل انتصارات الاسكندر المتعاقبة الامر الذي أدى الى قبول هذه الاساطير و السجود للإسكندر و تقبيل أصابعه باعتباره الها سياسيا .

فكرة الالوهية عند اليونان:

فكرة الالوهية عند اليونان من أفضل النماذج التي تدلل على ارتباط فكرة التأليه بطبيعة المجتمع و ثقافته السائدة، و من ثم فإن كثرة الالهة اليونانية و تعددها مردها للطبيعة الجغرافية و السياسية و الاجتماعية لبلاد اليونان التي كانت تقضي بضرورة وجود معبود قوي لكل مدينة يقوم بحمايتها ضد الغزاة ويحفظ على الاسرة تضامنها.

182 مدونة المعرفة، مقال بعنوان: الديانة في اليونان القديمة، الرابط الآتي: HTTPS://WWW.MAREFA.ORG ، يوم: 2018/12/21.

زيوس: كبير الهة الاوليمب وملكها وهو ابن كرونوس و ريا و هناك من يرى انه ابن "لجايا" الأرض الام، صور على هيئة رجل مستند على يده اليمنى ممسكا بيده اليسرى صولجان و هو رمز السلطان، ويكلل رأسه تاج من الزيتون، وكان النسر و البلوط من الموجودات المقربة اليه.

اريس: اله الحرب و هو ابن زيوس و هيرا، و رفيق كل من ايريس ربة الشقاق، و انيو ربة الحرب و الخراب، و دايموس اله الخوف، و فوبوس اله الفزع. وقد انجب من افروجيتي هرمونيا زوجة كادموس مؤسس طيبة، ووصفته الاساطير بانه مكروه من سائر الالهة و البشر، و مغضوب عليه من والديه لقسوة قلبه.صورته الاساطير على هيئة رجل ضخم مفتول العضلات ذو وجه مروع، يضع على رأسه قبعة و يحمل درعا و رمحا.

الالهة الصغرى: ذهب البعض الى انها الهة قديمة، وان هوميروس قد وضعها في ملاحمه و انتحل لها انسابا تربطها بالهة الاوليمب، بينما ذهب البعض الى انها الهة شرقية قد تسللت الى العقيدة اليونانية بفعل التأثر الثقافي بين الشعوب، وان هوميروس قد وجد في سماتها ما يكمل به ما افتقرت اليه الهة الاوليمب.

المعبودات السماوية و الأرضية: لا تختلف عن الهة الاوليمب من حيث التعدد و التجسيد و الثوب الأسطوري الخرافي الذي علق بها وتشتمل على معاني وقيم مثل الحظ والحب والقدر وارواح الأجداد، وعناصر الطبيعة والقوى الغيبية.

عبادة الابطال: كان الاغريق القدماء يقدسون ابطالهم و يرفعونهم الى مرتبة الالوهية أو انصاف الآلهة، وقد اختلف الباحثون فذكر بعضهم ان هذا يرجع الى الاقاصيص الخرافية و الحكايات الأسطورية و الروايات التي نسجها كتاب الملاحم و صوروا فيها بعض الأشخاص في هيئة أصحاب الكرامات و المعجزات التي تفوق البشر، و ربط البعض الاخر بين معتقد عبادة أرواح الاسلاف و بين عبادة الابطال، مستندا على القوى الغيبية التي كانت تنبعث من مقابر الموتى التي كان اليونانيون يؤمنون بوجودها.

الكتب المقدسة عند اليونان:

الإلياذة و الاوديسة: اختلف المؤرخون حول تحديد مصادر الالياذة وزمن كتابتها و يشككون في نسبتها الى هوميروس. فيستنكر بعضهم خلو الادب الاغريقي من ملاحم سابقة على الالياذة و الاوديسة، و من تم يرفضون نسب هذه الملحمتين الى هوميروس، بل يردها الى شعراء من الرواة التراث الشعبي.

و الالياذة تشمل 15537 بيتا، و تنقسم الى 24 انشودة، بداها هوميروس بدعاء لربات الشر ليلهمنه الشعر و الغناء، وهوميروس يعد بمثابة الكاهن الأول أو المؤسس الحقيقي لعالم الالهة الاوليمبي او الديانة الهومرية

على حد تعبير العديد من الكتاب. غير ان بعض النقاد ينظرون اليه مفكرا ناقدا ساخرا و متهكما على الآلهة و عالمها القذر الشاغر من الفضيلة، ومنصفا في الوقت نفسه الانسان و مناقشا لهمومه و مشكلاته.

اما الاوديسة فهي احدى الملاحم التي انبثقت عن الإلياذة، اذ تروي رحلة عودة اوديسيوس (أحد ابطال الالياذة) الى وطنه، وقد جمع هوميروس في صفات ذلك الرجل كل المكارم الخلقية التي تجعل منه نموذجا لليوناني فهو محارب شجاع و حكيم و كاهن شغوف بالمعرفة وزوج عاشق لزوجته وبيته و والد محب لأبنائه، وملك محبوب مخلص لوطنه و رعيته، و تعد ملحمة تربوية تتناول الكثير من القيم الأخلاقية و العادات والتقاليد الاجتماعية.

- **الاعمال والأيام:** و هي قصيدة تحتوي على 828 بيتا نظمها هزيود وهي تنقسم الى أربعة اقسام: يتضمن القسم الأول قصصا تاريخية اسطورية رمزية، و الثاني مجموعة من القواعد الزراعية و الملاحية. و الثالث مجموعة من النصائح المألوفة في الزواج و السلوك الحسن. والرابع بتحديد الأيام السعيدة و المشؤوم عند اليونانيين.

- **أنساب الالهة:** وهي أولى القصائد التي تكشف عن تصور اليونانيين لفكرة نشأة الكون وتطوره من الفوضى الى النظام، ووجود الموجودات عن طريق التزاوج و الانبثاق.

أهم المعتقدات و الطقوس في الديانة اليونانية:

المعتقدات الدينية:

- **الجن والعفاريت:** اعتقدوا في وجود الجن والعفاريت ككائنات يمكن الاستعانة بها لكف الشر، وقد تبلورت أفكارهم عنها و عالمها منذ القرن الرابع ق.م، ولم تكن كتاباتهم عنها قبل هذا التاريخ الا كتابات مشوشة فاعتقدوا انها تعيش في الهواء في منزلة بين الالهة و البشر و هي اقرب للإنسان في سلوكها من حيث الميول و الرغبات و الانفعال.

العرافة و التنبؤ: كان اليونانيون يؤمنون بنوعين الأول عرافة مكتسبة بالخبرة و يطلق عليها الطيرة و العرافة، وتتم بفحص العراف احشاء الحيوانات المقدمة كقرابين للإلهة، ومراقبة مسرى الطيور و النجوم، وتفسير الاحلام. اما الثانية فكانت تتم في حالة اشبه بالغيبوبة حيث تنزل روح الالهة بهذا الشخص فيتلقى التعاليم و الاخبار منه مباشرة و ينطق باسمه و يتحدث بلسانه، وذلك بعد أداء العديد من الطقوس التي تؤهله لهذا الاتصال، فتبدأ بالاغتسال في النبع المقدس ثم التبخر و التمسح في الأشياء المقربة للإله المراد الاتصال به.

التطير و الخرافة: كان اليونانيون يعتقدون في الفأل الخير و الحظ النحس، و يربطون مصير الافراد ببعض الاحداث و التواريخ، ويشترطون ساعات بعينها لأداء أفعال معينة حتى لا تصيبهم اللعنة. وكان اليونانيون

يتشاءمون من اليد اليسرى لأنها اليد التي قطع بها أحد أساطيرهم عضو ابيه الذكري، و يفزعون من نعيق البوم، ويفرون من المجنون اعتقادا منهم بان جانا شريرا قد تلبسه.

الموت و عالم الأرواح: يعد الموت من أكثر الموضوعات غموضا في الديانة اليونانية حيث يخافون منه لاعتقادهم بان الموتى سوف يتحولون الى اشباح لا دماء في عروقها، الامر الذي يبرر تقديسهم للأفعال البطولية التي تكتب للإنسان الخلود وترفعه الى درجة الالهة.

الطقوس الدينية:

الطقوس الجنائزية: كان اليونانيون يسرعون بدفن امواتهم عقب الوفاة، بحجة ان الميت قد انتقل من هذا العالم بروحه، وتبدأ أولى المراسم الجنائزية بعويل اهل البيت المتوفى، و النحيب من المتخصصات من الندابات.

التضرع والصلوات: كان لليونانيين طقوس للتعبد والدعاء، منها التضرع الى الاله والتوسل اليه بترديد اسمائه و صفاته و التبرك بأضرحته.

المراسيم و الأعياد: لقد ارتبطت معظم أعياد اليونانيين بعالم الالهة ومن اشهر اعيادهم عيد ميلاد الربة أثينا، وقد ارتبطت جميع الأعياد الاوليمبية بأعياد الالهة ولاسيما عيد زيوس الذي كان يعد مهرجانا رياضيا، وعيد الفصح الذي كان ينحر فيه خروف ورحلة للتنزه.

التطهر: كان اليونانيون يعمدون أولادهم وكانوا يعتبرون غير المعمدين بالأشقياء ويصفونهم بالوحوش.

القصاص: كان اليونانيون يفتقدون بضرورة القصاص من القاتل، ايمانا منهم ان روح القتيل لن تدخل عالم الموتى الا بعد أن يقتص من قاتلها، او تظل لأسرتها حتى تنتقم لها[183].

4) **العبادات في الدّيانة الرّومانيّة القديمة:**

عبادة الإمبراطورية:

لقد كانت الأسرة الرومانية رابطة بين الأشخاص والأشياء، كما كانت رابطة بين الأشخاص والأشياء من جهة والآلهة من جهة أخرى. وكانت هي المركز الذي يلتف حوله الدين، والخلق، والنظام الاقتصادي، وكيان الدولة بأجمعها، كما كانت هي المنبع الذي تُستَمد منه هذه المقومات كلها. وكان كل جزء من أملاكها مهما صغر وكل

183 عبد الإله خبطة: الحياة الدينية في الحضارة اليونانية - دولة المدينة، موقع رقيم، رابط الموقع: HTTPS://WWW.RQIIM.COM/ABDOUJUVE ، بتاريخ: 2016/06/05.

مظهر من مظاهر وجودها يرتبط ارتباطاً وثيقاً جدّياً بالعالم الروحي؛ فكان الطفل يعلم بالقدوة الصامتة الفصيحة أن نار الموقد التي لا تخمد ليست إلا رمز الإلهة ڤستا[184] Vesta ومادتها، وأنها هي الشعلة المقدسة التي ترمز إلى حياة الأسرة والى دوامها؛ ومن أجل هذا كان من أوجب الواجبات ألا تنطفئ هذه النار، وأن يُعنى بها العناية "المقدسة"، وأن تغذى بنصيب من كل وجبة. وكان الطفل يرى فوق الموقد النصبات تتوجها الأزهار وتمثل آلهة الأسرة أو أرواحها المقدسة: إللار Lra الذي يحرس حقولها ومبانيها، وسعادتها ومصيرها؛ والبينات Penates أو الآلهة الداخلية التي تحمي ما تجمع للأسرة في مخازنها وأصونتها وبيادرها؛ وكان الإله يانوس[185] Janus يحوم حول عتبة الدار وإن كانت الأعين لا تراه، وكان ذا وجهين، وليس معنى هذا أنه كان مخادعاً بل معناه أنه كان يرقب الداخلين والخارجين من كل باب.[186] وكان الطفل يعلم أن أباه هو الحافظ للأسرة وأنه رمز القوة الخلاقة الداخلية (genius) التي لا تفنى بفناء الجسم بل يجب أن تغذى على الدوام عند قبر الأب. وكانت الأم هي الأخرى تحمل ربّاً من الأرباب، وكان عليه أن يعاملها أيضاً معاملة الآلهة. وكان فيها يونو Juno وهو روح قدرتها على الحمل يقابل قدرة الأب على الخلق. وكان للطفل أيضاً يونوه Juno وهو ملاكه الحافظ وروحه أو النواة الإلهية في غلافه الفاني. وكن يقال له قولاً يبعث في قلبه الرهبة، إنه يحيط به من كل مكان أطياف رحيمة Di Manes هي أطياف الذكور من أسلافه التي كانت أقنعة وجوههم الرهيبة معلقة على جدران المنزل تحذره من أن يتنكب طريق هؤلاء الأسلاف، وتذكره بأن الأسرة لا تتألف فقط من أولئك الذين كانوا في الأيام الخالية أو سيكونون في الأيام المقبلة أعضاء فيها بأجسامهم، والذين يكونون لهذا السبب جزءاً من مجموعها الروحي ووحدتها الأبدية. وكانت

184 **هستيا**: (باليونانية القديمة: ΕΣΤΙΑ) بحسب الميثولوجيا الإغريقية القديمة، إلهة موقد النار العذراء، وهي الإبنة الكبرى لـ كرونوس وريا من جبابرة الإغريق . كان يعتقد أنها مسؤولة عن موقد المذبح في المعابد، وكانت تقدم الصلوات لها قبل وبعد الوجبات. ورغم أن ظهورها في الأساطير كان قليلاً، إلا أن غالبية المدن كانت تحتوي على موقد عام حيث تشتعل نيرانها المقدسة. في روما، عرفت بالإلهة فيستا، وكانت تخدمها ست كاهنات عذارى عرفن بعذارى ڤستا. **أسطورة عذريتها الخالدة:** لقد كانت هيستيا مثل آرتميس وآثينا ربة عذراء، وحدث بعد أن أطاح زيوس بعرش أبيه كرونوس أن تنافس في طلب يدها كل من بوسيدون وأبولو، غير أن هيستيا رفضت كل عروض الزواج التي تقدَّم بها الآلهة والبشر وأقسمت برأس زيوس أن تظل عذراء إلي الأبد. **خصالها:** ولم تكن العذرية وحدها هي موضع افتخار هستيا، فقد كانت دون سائر آلهة الأوليمبوس هي الوحيدة التي لم تشترك أبداً في حروب أو منازعات، ولهذا السبب استجاب زيوس إلي رغبتها في أن تكون الذبيحة الأولي من نصيبها في أي حفل عام للقرابين وإن تحت في أي منزل مكانة الأوسط. **رمزها:** وبذلك أصبحت هستيا كما يتبين من اسمها ربة الموقد رمز الحياة العائلية وما يسودها من سلام وتضامن وهناء. **من مميزات عبادتها:** وكانت هستيا تبسط حمايتها علي من يستجيرون بالموقد المقدس سواء في المنزل أو في مكان عام. وكانت كل وجبة من وجبات الطعام تبدأ وتنتهي بتقديم القرابين إليها. وكان اسمها أول ما يذكر عند الصلاة وأول ما ينطق به غالباً عند القسم، وكما كان في كل بيت موقد لهيستيا كان لكل مدينة موقد عام موقوف علي الربة في دار الرئاسة حيث كان يستقبل الضيوف والأجانب. **عذارى هستيا:** وكانت تخدمها ست كاهنات عذراوات عرفن بعذراى هيستيا، حيث يقمن على رعاية النار المقدسة، ومنهن من تخدم معبد هيستيا في روما ويتم اختيارهن من بين عشرين ليكتمل عددهن ستة، وكلهن من العذاري ومن تفقد عذريتها أثناء مدة خدمتها للإلهة يكون عقابها الموت بحرقها حية. وفي مقابل هذه المعاملة الدقيقة الصارمة، كانت عذارى الفستال (عذارى هيستيا) موضوع احترام الكل فكان شأنهم شأن أصحاب المناصب الكبيرة. **الحمار حيوان هستيا المقدس:** وقد كان الحمار حيوانا مقدسا عند هيستيا. كانت تصور كامراة متجهمة ترتدي ثوبا طويلا او قصيرا خارجة من النار او بالقرب من الموقد.

185 **يانوس أو جانوس** (باللاتينية: IANUS) هو إله البوابات و المداخل والإنتقالات والطرق والممرات والمخارج في الميثولوجيا الرومانية،[1] هذا الإله له وجهين، وجه ينظر للمستقبل ووجه ينظر للماضي، هو الإله التقليدي لشهر يناير ويعتبر أصل إسمه،[2] ويعتبر حسب الميثولوجيا أنه مثير وحاسم النزاعات والحروب والسلام.

186 منير البعلبكي: معجم أعلام المورد (موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين)، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان، سنة 1992، ص 503.

أرواح أخرى تأتي لمعونته كلما كبر: فكوبا Cuba[187] تحرسه وهو نائم وأبيونا Abeona تهدي خطاه، وفبيولينا Fabulinaتعلمه الكلام. وإذا ما غادر المنزل وجد نفسه مرة أخرى في حضرة الآلهة أينما حل. وكانت الأرض نفسها آلهة فهي تارة تلس Tellus وتارة ترا ماتر Terra Mater أي الأرض الأم، وكانت أحياناً هي مارس Marsأي الأرض التي يطؤها بقدميه وخصبها المقدس، وأحياناً تكون هي الآلهة الصالحة Bona Dea التي تمد النساء والحقول بالأرحام الخصيبة.[188]

وكان في المزرعة إله معين لكل عمل وكل بقعة فيها، پومونا Pomona للبساتين، وفونس Faunus للماشية، وپالس Pales للمراعي، واستركيولس Sterculus لأكوام السماد، وساترن Saturn للزرع، وسيريز Ceresللحاصلات، وفُرناكس Fornax لتحميص الذرة في التنور، وڤلكان Vulcan لإيقاد النار.

وكان يشرف على الحدود الإله العظيم ترمينس Terminus وهو يتمثل ويعبد في الحجارة والأشجار التي تحدد المزارع. وإذ كانت غير الروماني تتطلع إلى السماء، فإن الرومان أنفسهم لم يكونوا ينكرون أن فيها هي الأخرى آلهة، ولكن المحور الذي كانت حوله أعظم مظاهر تقواه وإيمانه وأخلص كفارته واستعطافه كان هو الأرض أم حياته ومصدرها، ومنزل أمواته، والمربية الساحرة للبذور النامية. وإذا ما حل شهر يناير من كل عام أقيمت الصلوات للارات Lares الأرض في عيد ملتقى الطرق Compitalia أو Corssroads البهيج؛ وإذا أقبل شهر يناير قدمت الهدايا الغالية مرضاة لتلس Tellus واستدراراً لعطفه على كل المزروعات؛ وفي شهر مايو من كل عام يسير كهنة "إخوان أرفال Arval" إلى أخوان الحرث في موكب غنائي حول حدود المزارع المجاورة لهم يطوقون الحجارة بتيجان من الزهر، ويرشون عليها دماء الأضاحي، ويدعن المريخ (الأرض) أن تخرج الفاكهة الموفورة. ويرى من هذا أن الدين كان يؤمن الملكية، ويزيل أسباب الشحناء، ويكرم العمل في الحقول، فينشئ فيه الشعر، ويؤلف فيه المسرحيات، ويقوي الجسم والروح والإيمان والعمل.

ولم يكن الروماني، كما كان الإغريقي، يفكر في آلهته كأن لها صوراً كصور الآدميين، ولم يكن يسميها إلا مونينا Munina أي الأرواح، وكانت هذه الآلهة في بعض الأحيان معنويات مجردة كالصحة، أو الشباب، أو الذاكرة، أو الحظ، أو الشرف، أو الأمل، أو الخوف، أو الفضيلة، أو العفاف، أو الوفاق، أو النصر، أو روما. وكان منها أرواح للمرض يصعب استرضاؤها كالأطياف وأرواح الموتى؛ ومنها أرواح فصول السنة، مثل Maia روح شهر مايو؛ ومنها آلهة الماء مثل نپتونNeptune ، وأرواح الغابات أو الآلهة التي تسكن الأشجار مثل

187 هي بلد يتألف من جزيرة كوبا بالإضافة غلى جزيرة دى لا خوڤتوند ومجمعة من الأرخبيلات. تقع كوبا في شمال الكاريبي حيث يلتقي البحر الكاريبي، خليج المكسيك، والمحيط الأطلسي. وتقع جنوب ولاية فلوريدا الأمريكية والبهاماس، غرب هايتي، وشمال جامايكا. هاڤاناهي عاصمتها وأكبر مدنها؛ ومن بين المدن الأخرى الكبرى سانتياگو دى كوبا، كاماگي. كوبا هي أكبر جزر الكاريبي، وتبلغ مساحتها 109.884 كم²، وثاني أكبر الجزر من حيث تعداد السكان بعد هيسپانيولا، بما يزيد عن 11 مليون نسمة.

188 الدين في روما القديمة، مدونة المعرفة، الرابط الآتي: HTTPS://WWW.MAREFA.ORG/ ، بتاريخ: 2018/12/21.

سيلڤانس .Silvanus وكان بعضها يتقمص الحيوانات المقدسة كالحصان أو الحيوان الذبيح، أو الأوز المقدس الذي كان المتقون يحتفظون بها فوق الكبتول لا يناله أحد بأذى، ومنها أرواح التناسل والإنتاج: تتومس يشرف على الحمل، ولوسينا تحمي الحيض والولادة، وكان بريابس Priapus ألهاً للإخصاب عند اليونان، ولكنه سرعان ما سكن روما، وكانت العذارى والأمهات (إذا كان لنا أن نصدق القديس أوغستين الغاضب) يجلسن على قضيب تمثاله ليضمن بذلك استعدادهن للحمل.

وكانت صور خليعة فاحشة لهذا الإله تزين كثيراً من الحدائق، وكان السذج من الأهلين يلبسون صوراً صغيرة منه ظاهر فيها قضيبه لتهبهم القدرة على التناسل أو ترد عنهم "العين الحاسدة". وجملة القول إننا لا نعرف قط ديناً يبلغ فيه عدد الآلهة ما بلغه عند الرومان، ويقدرها فارو بثلاثين ألفاً، ويشكو بترونيوس من أن بعض المدن الإيطالية كان فيها من الآلهة أكثر ممن فيها من الرجال؛ لكن الذين يسميهم بترونيوس deus لم يكونوا كلهم آلهة؛ لأن كلمة deus كانت تعني عند الرومان قديساً أو إلهاً.

وكان يكمن تحت هذه الأفكار الأساسية حشد من العقائد الشعبية المتعددة الأشكال، من عبادة الطبيعة، والدكاكيرية fetishism ، والطوطمية، والإيمان بالسحر، والمعجزات، والرقى، والخرافات، والمحرمات، ومعظمها عقائد باقية من أيام سكان إيطاليا فيما قبل التأريخ، ولعلها باقية من أيام أسلافهم الهندوربيين جاءوا بها من موطنهم القديم في قارة آسيا. وكان الكثير من الأشياء والأماكن والأشخاص مقدساً (sacer) محرماً مسه أو تدنسيه، ومن هؤلاء الأشخاص الأطفال حديثو الولادة، والنساء في وقت الحيض، والمجرمون إذا أدينوا. وكانت مئات من الصيغ اللفظية أو المبتكرات الآلية تستخدم للوصول إلى غايات طبيعية بوسائل خارقة للطبيعة. فكانت التمائم شائعة بينهم لا يكاد يخلو منها واحد منهم؛

وكان كل طفل تقريباً يلبس "بلّة Bulla "أو طلمساً ذهبياً معلقاً في عنقه. وكانت تماثيل صغيرة تعلق إلى الأبواب أو الأشجار لترد الأرواح الخبيثة. وكانت الرقى والتعاويذ تستخدم لمنع الأخطار، وللشفاء من الأمراض، وإنزال الماء من السماء، وإهلاك جيوش الأعداء، وإتلاف محصولات العدو أو إهلاكه هو نفسه. ومن أقوال پلني Pliny في هذا: "كلنا نخشى أن تصيبنا اللعنات أو الطلاسم بالسوء". كذلك يرد ذكر الساحرات في أقوال هوراسHorace ، وڤرجيلVirgil ، وتيبولوسTibulus ، ولوشيان .Lucian وكان الاعتقاد السائد أنهن يأكلن الأفاعي ويطرن في الهواء ليلاً، ويعصرن السم من أعشاب لا يعرفها غيرهن، ويقتلن الأطفال، ويحيين الموتى.

ويلوح أن الرومان جميعاً، إلا قليلاً من المتشككين، كانوا يؤمنون بالمعجزات، وبالفأل والطيرة، وبأن التماثيل تتحدث وتعرق ، وبأن الآلهة تنزل من جبل أولمپس Olympus لتحارب في صف الرومان، وبأن الأيام

الفردية الأسماء محظوظة، والزوجية الأسماء منحوسة، وبأن الحوادث الغريبة تنبئ بالمستقبل. ويحتوي تأريخ ليفي على عدة مئات من أمثال هذا الإنباء يسجلها كلها بوقاره الفلسفي. وفي مجلدات پلني الأكبر Pliny من التنبؤات ووسائل العلاج السحري ما يصح لنا معه أن نسمي تأريخه "تأريخ خوارق الطبيعة". وكثيراً ما كان يحدث أن تؤجل أهم الأعمال التجارية أو الحكومية أو الحربية أو تلغى إلغاءً تاماً إذا تشاءم الكاهن بأن وجد شيئاً غير مألوف في أمعاء ذبيحة، أو سمع قصف رعد في السماء. وكانت الدولة تبذل كل ما في وسعها لتحد من الإسراف في هذه العادات،

وكان يطلق عليها اللفظ الذي يعبر عنها أدق تعبير وهو لفظ Supersitis أي العقائد الدينية المفرطة. ولكنها كانت لا تقعد قط عن استغلال تقوى الشعب لتثبيت دعائم الحكم والنظام الاجتماعي فكيفت آلهة الريف لتوائم حياة الحذر، وشادت موقداً قومياً للإلهة فستا، وعينت طائفة من العذارى الفستيات لتقوم على خدمة نار المدينة المقدسة، وأخرجت من مجموع آلهة الأسرة والمزرعة والقرية الآلهة القومية للدولةdi indigetes ، ونظمت لهذه الآلهة عبادة جديدة جميلة المنظر تقوم بها الدولة باسم جميع المواطنين. وكان أحب هذه الآلهة القومية الأولى إلى قلوب الشعب الإله جوبتر أو جوف Jupiter or Jove وإن لم يكن هذا الإله قد أصبح ملكها كما أصبح زيوس عند اليونان، بل كان في القرون الأولى من حياة روما لا يزال قوة نصف معنوية يمثل رقعة السماء المتلألئة وضياء الشمس القمر وقصف الرعد،

وكان في صورة جوبتر فلوفيوس Jupiter Fluvius يمثل شؤبوباً من المطر المخصب. وقد كان فرجيل وهوراس نفسهما يستعملان في بعض الأحيان لفظ "Jove" مرادفاً للفظ المطر أو السماء. وكانت أكثر نساء روما ثراءً إذا أجدبت السماء يسرن حافيات في موكب كبير إلى تل الكبتولين حيث هيكل جوبتر تونانز Jupiter - Tonansجوف المرعد- ليستسقين. ولعل لفظ جوبتر محرف عن ديوسپاتر Diuspater أو ديسپيتر Diespeterأي إله السماء. ولعل يانوس Janus الذي كان في الأصل يسمى ديانوس Dianus كان يؤلف هو وجوبتر في بداية الأمر إلهاً واحداً، وكان يرمز به أولاً إلى روح باب الكوخ ذي الوجهين ثم إلى باب المدينة، ثم إلى أي فتحة أو بداية كبداية اليوم أو السنة. وكانت أبواب هيكله لا تفتح إلا في أيام الحرب ليخرج منها مع جيوش روما لهزيمة آلهة الأعداء. وكان المريخ Mars إلهاً معظماً عند الشعب مذ بدأ يعظم جوبتر. وكان أولاً إله الحرث، ثم أصبح إله الحرب، ثم كاد أن يكون هو فيما بعد رمز روما وشعارها؛ وكانت كل قبيلة في إيطاليا تطلق اسمه على شهر من الشهور. ولم يكن زحل الإله القومي للبذرة الحديثة الزرع (Sata) أقل قدماً من جوبتر والمريخ، وكانت الأساطير تصوره على أنه ملك من ملوك ما قبل التأريخ أخضع القبائل كلها لقانون واحد وعلمها الزراعة وأقر السلام والمشايعة في العهد الذهبي من عهد زحل .Saturna Regina وكانت إلهات روما أقل قوة من آلهتها، ولكنهن كن أحب إلى قلوب الشعب من الآلهة الذكور. وكان من هذه الإلهات يونو رجينا Juno

Reginaملكة السماء وحامية الأنوثة والزواج والأمومة. وكانوا يوصون بالزواج في شهرها -شهر يونيو - ويقولون أن الزواج فيه أسعد الزيجات؛ وكانت مينرڤا Minerva إلهة الحكمة (mens) أو الذاكرة، والصناعات اليدوية وطوائف الصناع، والممثلين والموسيقيين والكتبة.

وكان البلاديوم Palladium التي تقف عليها في اعتقادهم سلمة روما صورة صغيرة للإلهة بلاس منيرفا Pallas Minervaمدججة بالسلاح جاء بها إنياس Aeneas في زعمهم من طروادة إلى روما بأساليب الحب والحرب، وكانت ڤينوس Venus الزهرة) إلهة الشهوة، والزواج والإخصاب. وكان شهرها المقدس هو شهر إبريل شهر تفتح الأزهار .(Aperire) وكان الشعراء أمثال لكريشيوس Lucretius واوڤيد Ovid يرون فيها المنشأ الغرامي لجميع الكائنات الحية. وكانت ديانا Diana إلهة القمر والنساء والولادة والصيد والغابات وسكانها من الوحوش؛ وكانت في زعمهم روح شجرة جيء بها من أريشية Aricea حينما خضع هذا الإقليم من أقاليم لاتيوم لحكم روما. وكان بالقرب من أريشيا بحيرة نيمي Nemi وأيكتها، وكان في هذا الأيكة مزار ديانا ملجأ الحجاج الذين كانوا يعتقدون أن هذه الإلهة قد ضاجعت في هذا المكان ڤيربيوس Virbius ملك الغابات الأول. ولكي يضمن دوام إخصاب ديانا وإخصاب الأرض كان خلفاء فربيوس -وهم كهنة الصائدة وأزواجها- يستبدل بهم جميعاً واحداً بعد واحد أي عبد قوي يعوذ نفسه بغصن (يسمى عندهم بالغصن الذهبي) يأخذه من شجرة البلوط المقدسة إحدى أشجار الأيكة ويهاجم الملك ويذبحه. وقد بقيت هذه العادة إلى القرن الثاني بعد ميلاد المسيح. هذه إذن هي الآلهة الكبرى لدين روما الرسمي.

وكان للأهلين غير هؤلاء أرباب قومية أصغر منها ولكنها لم تكن تقل عنها محبة لدى الرومان. ومن هذه الأرباب الصغرى هرقول Hercules إله الفرح والخمر، والذي لم يتورع أن يقامر وهو مبتهج مع قندلفت هيكله لينال منه محظية. وكان مركيوري Mercury راعي التجار والممثلين واللصوص. وكانت أپس Aps إلهة الثروة وبلونا Bellona إلهة الحرب، وكان غير هؤلاء أرباب ذكور وإناث يخطئهم الحصر. ولما أن بسطت روما سلطانها جاءت إليها آلهة جديدة. وكانت في بعض الأحيان إذا غلبت مدينة جاءت منها بآلهتها لتضمها إلى مجمع الآلهة الروماني دليلاً على غلبتها وضماناً لهذه الغلبة كما فعلت بيونو إلهة فياي حين قادتها أسيرة إلى روما؛ وكان سكان الأقاليم النائية إذا جاءوا إلى العاصمة أتوا معهم بآلهتهم ليثبتوا فيها أقدامهم حتى لا تجتث أصول أولئك السكان الجدد الروحية والأخلاقية اجتثاثاً مفاجئاً لسبب من الأسباب، وكذلك يفعل اليوم المهاجرون إلى أمريكا فيأتون إليها بآلهتهم. ولم يكن الرومان يأبهون بمجيء هؤلاء الآلهة الأجانب؛ وكان معظمهم يعتقدون أنهم إذا أزاحوا التمثال من مكانه أزاحوا الإله معه، ومنهم كثيرون كانوا يؤمنون أن التمثال نفسه هو الإله. على أن بعض الآلهة الجديدة لم تغلب، بل كانت هي الغالبة. فقد تسربت إلى العبادات الرومانية بطريق التجارة والصلات الحربية والثقافية التي نشأت بين الحضارتين الرومانية واليونانية.

وقد حدثت هذه الصلات أول الأمر في كمبانيا ثم جنوبي إيطاليا ثم صقلية، وانتهت آخر الأمر في بلاد اليونان نفسها. وكان في آلهة دين الدولة شيء من التجرد المعنوي وبرود الطبع؛ وكان المستطاع رشوهم بالقرابين والتضحيات، ولكنهم قلما كانوا يمدون عبادهم بالراحة أو الإلهام الفردي؛ وكانوا من هذه الناحية يختلفون عن آلهة اليونان ذوي الصفات البشرية الممتلئين مغامرة وفكاهة وشعراً. ومن أجل هذا رحب الشعب الروماني بآلهة اليونان وأقام لهم الهياكل، وسره أن يتعلم ما يتطلبه أولئك الآلهة من مراسم وطقوس، وكذلك سر الكهنة الرسميين أن يجندوا أولئك الجند الجدد لبث النظام والطمأنينة في النفوس، فضموهم إلى أسرة روما المقدسة، ومزجوهم كلما استطاعوا بأقرب الآلهة الوطنية المماثلة لهم. فجاء من عهد بعيد أي من عام 496 ق.م دمتر Demeterوديونيسيوس Dionysius ومُزجا بسيريس Ceres وليبر) Liber إله العنب) واستقبل كاستر Castorوپلكس Pollax بعد اثني عشر عاماً من ذلك الوقت وصارا حاميي روما: وشيد في عام 431 هيكل لأپلون Apollo الشافي لعله يخفف من وباء طاعون فشا في روما وقتئذٍ؛ وفي عام 294 جيء إلى روما من إپيدوروس Epidaurus بإسكلاپيوس Aesculapius إله الطب عند اليونان في صورة أفعوان ضخم ، وشيد على جزية في نهر التيبر معبد في صورة مستشفى تكريماً له. وجيء بكرونس Cronus اليوناني وقيل أنه لا يختلف في شيء عن زحل، ومزج پوسيدن Poseidon بنبتون Neptune وأرتميس Artemis بديانا Diana وهفستس Hephaestus بڤلكانVulcan ، وهرقل Heracle بهرقولHercules ، وهادس Hades بپلوتون Plutoوهرمس Hermes بعطاردMercury ، وارتفع جوبتر بفضل بعض الشعراء إلى زيوس غير زيوس اليونان، فصار شاهد الأيمان الصارم وحارسها، وقاضي الأخلاق الملتحى، والقيم على القوانين، وإله الآلهة؛ وهيئت عقول الرومان المتعلمين على مهل لقبول عقائد التوحيد الرواقية واليهودية والمسيحية.

الكهنة:

واستخدمت إيطاليا نظاماً من الكهنوت محكم الوضع لتضمن به معونة هؤلاء الأرباب. وكان الأب في منزله كاهناً، ولكن الصلوات العامة كان يرأسها جماعات (Collegia) من الكهنة، تملأ كل منها ما يخلو في صفوفها من الأماكن ويرأسها كلها حبر أعظم Pontifex Maximus تختاره الجمعية المئوية. ولم تكن عضوية هذه الكليات المقدسة تحتاج إلى تدريب خاص؛ بل كان في وسع كل مواطن أن ينضم إليها أو يخرج منها؛ ولم تكن تؤلف مرتبة أو طبقة منفصلة عن سائر المراتب أو الطبقات، ولم يكن لها أي سلطان سياسي عدا أن الدولة كانت تستخدمها أداة من أدواتها. وكانت تستولي على إيراد بعض أراضي الدولة لتستعين به على العيش، وكان لها عبيد يقومون على خدمتها؛ وقد أصبحت بتوالي الأجيال عظيمة الثراء بما كان يحسبها عليها أتقياء الناس من الأموال. وكانت الكلية الدينية الكبرى في القرن الثالث قبل المسيح تضم تسعة من الأعضاء، يحتفظون بالحوليات التاريخية، ويسجلون القوانين، ويقرءون الغيب، ويقربون القرابين، ويطهرون روما مرة في كل خمس سنوات.

وكان يساعد هؤلاء الأحباء في القيام بالمراسم الرسمية خمسة عشر كاهناً آخر يسمون فلميني -flamine أي موقدي نيران الأضاحي.

وكان ثمة طوائف من الأحباء أقل من هؤلاء شأناً يؤدون واجبات خاصة: فالساليون Salii أو القافزون كانوا يستقبلون العام الجديد بنوع من الرقص المقدس للمريخ، والفتيالي fetiales يصدقون على عقد الصلح، وإعلان الحرب، واللوبرسي Luperci أو إخوان الذئاب يقومون بطقوس لوبركاليا Lupercalia العجيبة. وكانت طائفة العذارى الفستية Vestal Virgins تعني بموقد الدولة وترشه في كل يوم بالماء المقدس تأخذه من عين الحورية المقدسة إجرياEgeria ؛ وكان هؤلاء الراهبات ذوات الثياب البيض والخُمُر البيض يُخترن من بين الفتيات اللاتي تتراوح سنهن بين السادسة والعاشرة، وكن يقسمن بأن يظللن عذارى في خدمة الإلهة فستا ثلاثين سنة، وينلن في نظير هذا ضروباً من الامتيازات والتكريم وإذا اقترفت إحداهن جريمة العلاقات الجنسية ضربت بالعصى ودفنت وهي على قيد الحياة، وقد سجل المؤرخون الرومان اثنتي عشرة جريمة من هذا النوع، فإذا قضين الثلاثين عاماً كان لهن أن يتركن خدمة الإلهة ويتزوجن، ولكن قل منهن من كانت تتاح لها هذه الفرصة أو تغتنمها إذا أتيحت لها.

وكانت أعظم طوائف الكهنة نفوذاً طائفة العرافين التسعة الذين كانوا يدرسون إدارة الآلهة ومقصدهم باتجاه الطيور في الأيام الأولى ، وبالفحص عن أحشاء الحيوانات المضحاة فيما بعد. فكان كبار الحكام "يستطلعون الطلع" قبل كل عمل هام من أعمال السياسة أو الحكم أو الحرب، ثم يفسر العرافون ما يجده الحكام، أو يفسره لهم مفتشو الأكباد hauruspices الذين تلقوا فنهم هذا من بلاد الكلدان أو من أمم قبلهم عن طريق إترووريا. ولم يكن الكهنة على الدوام بمنجاة من الإغراء بالمال، ولذلك كانوا في بعض الأحيان يوقفون بين أقوالهم وبين حاجات من يذهب لاستشارتهم. من ذلك أن أي قانون لا يتفق مع مصلحة طائفة أو جماعة من الناس كان يمكن تعطليه إذا قيل إن اليوم الذي ينظر فيه القانون يوم مشئوم لا يصلح العمل فيه، وكان في الاستطاعة إقناع الجمعية بالموافقة على إعلان الحرب إذا قيل لها أن اليوم الذي يطلب إليها إعلانها فيه يوم سعيد. وكانت الحكومة في الأزمات الخطيرة تدعى أنها تعرف ما تريده الآلهة بالرجوع إلى الكتب السبيلية Sibylline، وهي الكتب التي سجلت فيها نبوءات سيبيل Sibyl أو كاهنة أبلون Apollo في كومية Cumae. وكان في وسع الأعيان أن يؤثروا في الشعب بهذه الوسائل وبالرسل الذين كانوا يرسلونهم إلى هاتف دلفي The oracle at Delphi في بعض الأحيان وبذلك يوجهونهم في أي اتجاه يشاءون، ويكادون يبلغون كل غاية يبغونها. ولم يكن يقصد بطقوس العبادات إلا أن تقدم هدية أو ضحية للآلهة لكسب عونها أو اتقاء غضبها. وكان الكهنة يقولون إن الاحتفالات التي تقام لهذا الغرض لا تثمر ثمرتها إلا إذا روعي فيها منتهى الدقة في الأقوال والحركات، وهي دقة لا يستطيع غير

الكهنة أن يشرفوا عليها. وإذا وقع في طقس من هذه الطقوس أيّاً كان نوعه وجبت إعادته من جديد ولو تطلب ذلك إعادته ثلاثين مرة. وكان معنى لفظ Religio هو أداء الطقس الديني بالعناية التي يحتمها الدين.

الأضحية:

وكان أهم ما في الاحتفال هو التضحيةSacrifice ؛ ومعنى اللفظ مشتق من كلمة Cacer اللاتينية ومعناها ملك للإله. وكانت التضحية في البيت تتخذ عادة شكل قطعة من كعكة توضع على الموقد أو كمية من النبيذ تلقى في نار البيت، وتكون في القرية أول ثمرة تخرجها الأرض، وقد تكون كبشاً أو كلباً أو خنزيراً، وتكون في المناسبات الهامة فرساً أو خنزيراً أو شاة أو ثوراً، وكانت الثلاثة الحيوانات الأخيرة تذبح في أكبر المناسبات أهمية في عيد السو-أوفه-طوريليه) Su-ove-taur-illa أي عيد الخنزير والشاة والثور). وكانوا يعتقدون أنه إذا تليت صيغ خاصة على التضحية استحالت إلى الإله الذي يراد منه أن يتقبلها؛ وعلى هذا الاعتبار كان الإله نفسه هو الذي يضحي به ؛ وإن كانت أحشاء الحيوان وحدها هي التي تحرق على المذبح؛ وكان الكهنة والناس يأكلون كل ما بقي منه، فقد كان هؤلاء يأملون أن تنتقل قوته ومجده إلى عبيده المحتفلين بعيده. وكان يضحي بالآدميين في بعض الأحيان؛ ومما يجدر ذكره أنه كان لابد من صدور قانون في عام 97 م لتحريم هذه العادة.

ثم حورت هذه الكفارة تحويراً يبيح للرجل أن يضحي بحياته للدولة كما فعل القنصل پبليوس ديسيوس Publius Deciusوولده، وكما فعل مارخوس كورتيوس Marchus Curtius إذ ألقي بنفسه في أخدود شقه زلزال في السوق العامة ليسكن بذلك غضب القوى الأرضية الخفية، وتقول القصة بعد ذلك إن الشق قد التحم وإن الأمور قد عادت إلى مجاريها. وكان احتفال التطهير أكثر من هذه الطقوس متعة؛ وكان هذا التطهير يحدث للمحصولات الزراعية أو لقطعان الماشية أو المدينة. وكانت الطريقة المتبعة في هذا الاحتفال أن يطوف موكب بالشيء المراد تطهيره، ويقدم له الصلوات والذبائح، فيتطهر بذلك من المؤثرات السيئة ويرد عنه الشر. ولم تكن الصلوات قد خلصت كل الخلاص من الرقي السحرية؛ وكان اللفظ الذي يطلق عليها وهو كارمن Carmen يعني الأنشودة والرقية جميعاً؛ ويعترف بلني صراحة بأن الصلاة ضرب من الأقوال السحرية. وإذا ما تليت الصيغة حسب الأصول المرعية ووجهت إلى الإله الذي يجب أن توجه إليه حسب سجل الآلهة indigitamenta الذي جمعه الكهنة واحتفظوا به، فإن الرجاء لا بد أن يجاب؛ فإذا لم يجب فإن غلطة ما قد حدثت في الطقوس المرعية.

وقريب من السحر وذو صلة به الفوتا vota أو النذور التي كان يطلبون بها معونة الآلهة؛ وكانت هياكل عظمية تشاد في بعض الأحيان وفاء بهذه النذور. وتوحي النذور الكثيرة التي كشفت بين مخلفات الرومان على أن الدين كان يملأ قلوبهم، وعلى أنه كان يمتزج به ويلطفه تقي وشكر على النعم، وشعور بالصلة القوية بين الناس وبين قوى الطبيعة الخفية، ورغبة أكيدة في أن يكون الناس على وفاق مع هذه القوى جميعها. هذا ما كان للدين

من أثر في قلوب الشعب، أما دين الدولة فكان على النقيض من هذا، كان شكلياً جامداً، لا يعدو أن يكون نوعاً من العلاقة القانونية التعاقدية بين الحكومة والآلهة. ولما أن تسربت إلى البلاد أديان جديدة من الشرق المغلوب، كان أول ما تضعضع في الدولة الرومانية هو هذا الدين الرسمي، أما الإيمان العميق ذو المظاهر الجميلة الجذابة، والطقوس المنتشرة في الريف، فقد ظلت تقاوم الأغلال في صبر وعناد طويلين. ولما تغلب الدين المسيحي في آخر الأمر استسلم بعض الاستسلام إلى هذا الإيمان الريفي القديم فأخذ عنه كثيراً من عقائده وطقوسه، وكان ذلك الأخذ عن حكمة وأصالة رأي، ولا تزال هذه الطقوس باقية في العالم المسيحي إلى هذه الأيام، وإن تشكلت بأشكال جديدة وعبر عنها بألفاظ غير الألفاظ القديمة.

ب- العبادات في الدّيانات الحيَّة:

1) العبادات في الدّيانة الهندوسيَّة: la religion hindoue

معنى الهندوسية:

الهندوسية (بالإنجليزية: Hinduism والفرنسية: Hindouisme) ويطلق عليها أيضاً البراهمية Brahmanisme، هي الديانة السائدة في الهند ونيبال. وهي مجموعة من العقائد والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر، ولا يوجد لها مؤسس معين تنتسب إليه شخصياً وإنما تشكلت عبر امتداد كثير من القرون.[189] أحد أصولها المباشرة هي ديانة فيدا التاريخية منذ هند العصور الحديدية، ولذلك فكثيراً ما يطلق عليها أقدم ديانة حية في العالم وتضم الديانة الهندوسية القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فلكل منطقة إله ولكل عمل أو ظاهرة إله. وأحد التصنيفات المنهجية للنصوص الهندوسية هي النصوص الشروتية (الإلهام)، والنصوص السيريتية. (المحفوظ). وتناقش هذه النصوص اللاهوت، الفلسفة، الأساطير، وطقوس وبناء المعابد. وأحد النصوص العظمى الفيدا[190]، الأوبانيشاد[191]، البوراناس[192]، رامايانا[193]، البهاغافاد غيتا[194]، والآجاما. أتباعها يربون

---

189 عبد الرزاق رحيم صلال الموحي، العبادات في الديانات القديمة، ص 41.

190 **فيدا** (بالإنجليزية: Vedas) الكتاب المقدس للديانة الهندوسية وهو كتاب يقع في 800 مجلداً تقريباً تم تأليفه طيلة 1000 سنة وقيل 3 آلاف سنة، وهي النصوص المقدسة من الترانيم والتراتيل لدي الآريين الهنود لتكريم الآلهة. والكتاب مقسم إلى أربعة أجزاء ضخمة هي الرامايانا ويتحدث عن نشأة الآلهة وأساطيرها والكون، والمانوسمرتي ويتحدث عن حقوق الطبقات الأربعة الهندية - البراهمة الذين خلقوا من رأس الإله كريشنا، مع العلم بأن البراهمة هم الوافدون من أواسط أوروبا والذين سكنوا على مصب نهر السند، والكشاتريا الذين خلقوا من ذراعي كريشنا والفايشيا من الأفخاذ وأخيرا الشودرا الذين خلقوا من أقدام كريشنا وهم المنبوذين والمضطهدين الذين لا يحق لهم شيء في دين الهندوس، وقد قاموا بثورة شاملة في القرن الأول الميلادي ونجم عن ذلك رفع بعض الضيم عنهم فكان إخاداً محنكاً لتلك الثورة، وأيضا المهابهاراتا تتحدث عن الأعمال والمهن وإرشادات الحياة والقضايا والوصايا، ثم أخيرا الأوبانيشاد ويتحدث عن الطقوس العبادية والأناشيد والقرابين وطريقة تقديس الآلهة، وقد ترجمت بعض الأجزاء الصغيرة من هذا السفر الضخم في عدة لغات الإنجليزية والفرنسية وغيرها الهندوسية تعطي معلومات عن الآريين وعن التعاليم والطقوس الفيدية والتراث الفلسفي الهندي. وما زالت آلهة الشعب الفيدي موجودة في العقيدة الهندوسية حتي اليوم بصورة أخف من السابق لتأثير الأديان الجديدة في النفور من الهندوسية كالإسلام والمسيحية، وأيضاً لتحكم القوانين البشرية الجديدة والعولمة في السطوة القديمة للطقوس الفيدية القاسية. (أنظر موسوعة ويكيبيديا).

191 **الأوبانيشاد** الجزء الأخير في مجموعة من الكتابات الهندوسية التي تُسمى الفيدات (جمع فيدا). وتكوّن الأوبانيشاد جزءًا أساسيًا من مصادر الديانة الهندوسية، كما أثّرت في معظم الفلسفات الهندية. ويُطلق عليها أحيانًا اسم الفيدنتا ، وتعني الكلمة تجميع الفيدا.

192 **البوراناس** هي عبارة عن مجموعة واسعة من الحكايات الرمزية التي وُثقت في في القرون الوسطى. يُعتبر ثمانية عشر منها على أنها ماهابوراتا (البورانا العظيمى)، وهي المراجع الموثوقة عن الآلهة الهندوسية، الشعائر الدينية والأماكن الدينية (مُعظم الأماكن الدينية توجد في شبه القارة الهندية).